أكلوهم لحماً ورموهم عظاماً

بقلم الشيخ
حسام عبد الرؤوف

سمعت عرضاً لتقرير مؤلم، وإن كان لا يتعلق بالمسلمين إلا أنه يتعلق بالإنسان أياً كانت ملته واعتقاده، خلاصته أن هناك زيادة في معدل جريمة السرقة في اليابان، وأن متوسط أعمار معظم من ألقي القبض عليهم في السنوات الأخيرة متلبسين بارتكاب هذه الجريمة هم ممن تخطوا سن الخامسة والستين من العمر!

وذكر التقرير أن اليابان –ثاني أكبر اقتصاد في العالم– تعاني من مشكلة التضخم وأن الرجال كبار السن صاروا في معزل ولا يسأل عنهم أحد، بعد أن كانوا يعيشون في البيت الواحد مع أفراد ينتمون لأربعة أجيال من نفس الأسرة، ويتمتعون بالاحترام وتوفر النفقة، والتقدير لدورهم في تطوير المجتمع وتنمية قدراته، حتى صار في مقدمة المجتمعات، إلا أنهم بعد أن بلغوا من العمر عتياً وأشربت الأجيال الجديدة ثقافة الغرب المادية الصرفة التي لا تقيم للمبادئ أو العادات أو التقاليد الإنسانية الراقية وزناً؛ صار هؤلاء المساكين عالة على المجتمع بعد أن ضعفت قوتهم وندرت الاستفادة منهم في الحياة العملية بعد التطور التكنولوجي والعلمي الهائل في المجتمعات المتقدمة، ولقد أصابت اليابان ومن بعدها الصين والدول التي تحاول اللحاق بركب التقدم المدني والصناعي آفات في الفكر والثقافة والسلوك الرأسمالي الملحد.

ولذا نجد أنه في الصين سجلت نسبة الانتحار بين المتقدمين في السن والذين يقطنون المدن ارتفاعاً سريعاً، فهم مضطرون إلى تحمل أعباء مصاريفهم الطبية كما يلزمون غالباً بتبديل أماكن سكنهم بعد هدم بيوتهم الصغيرة والقديمة، وهو الأمر الذي يعتبر مصدر إزعاج وأذية بالنسبة لهم حيث يجدون أنفسهم في محيط غريب كما يضطرون إلى قطع مسافات طويلة لرؤية أفراد عائلاتهم، بالإضافة إلى أن الأمر يتسبب بنزاعات على مستوى حقوق الملكية بين أفراد العائلة".

وبحسب التقاليد الصينية، فإنه ينبغي على الأولاد الاهتمام بذويهم عندما يبلغون الشيخوخة، وغالبا ما يتكفل الابن بهذه المهمة. لكن بعض المتقدمين في السن يشعرون بأنهم مهملون من قبل ذريتهم، التي غالباً ما تأتي على شكل طفل وحيد لا يعير التقاليد أي أهمية!

ولو وفق هؤلاء المساكين للإسلام لتبدل حالهم حيث ينعم كبار السن بالتقدير والاحترام وحسن المعاملة –أو هكذا يفترض أن يعاملوا– ما داموا على قيد الحياة، ولتنعَّموا

برغد العيش والاستغناء عن السؤال أو مد اليد للمال الحرام، أو الانتحار يأساً من تحسن الحال، لأن الإسلام يفرض على الصغار كفالة الآباء والأجداد، طالما كانت عندهم السعة وتكفي مقالة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم (للرَجُلٌ الذي جاء يسْتَعْدِي عَلَى وَالِدِهِ قائلاً: إِنَّهُ يَأْخُذُ مَالِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيه وسَلَّم: "أَنْتَ وَمَالُكَ لأَبِيكَ") وقوله صلى الله عليه وسلم لسيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي رأى أن له فضلاً على من دونه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟!.

ولو عاشوا في المجتمعات الإسلامية الصحيحة لنعموا كذلك برعاية الدولة لهم رغم كفرهم، وهذه عظمة الإسلام التي يجهلها الجاهلون، ويكابر عن الاعتراف بها المعاندون والدجالون، وتبقى كلمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حق الشيخ اليهودي الضرير الذي وجده يتسول في طرقات المدينة سراجاً وهاجاً ونوراً يهدي حكام المسلمين للعدل حتى مع أهل الكتاب الذين يعيشون في كنفهم، حيث قال رضي الله عنه: "والله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم!" ووضع عنه الجزية وعن ضربائه بعد أن أخذ بيده وذهب به إلى منزله فرضخ له بشيء من المال.

فالحمد لله على نعمة الإسلام وعدالته واستقامة خلفائه الراشدين.

٥ صفر ١٤٣٢ الموافق ١٠ يناير ٢٠١١